

«مواقف كلامية مع ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه الخصائص (دراسة نقدية)»

أ.م.د. محمد سلمان داود || ٨٥٩

مواقف كلامية  
مع ابن جني (ت ٣٩٢هـ)  
في كتابه الخصائص  
(دراسة نقدية)

أ.م.د. محمد سلمان داود



Abstract:

After the death of Prophet Mohammed, Allah's peace and blessing be him as well as many of his companions; and as a result to the expansion of Islam, there were loads of questions and issues about doctrine. To get to the safe shore, many scholars paid a great deal of attention to all fields of knowledge using the blessed legacy of many generations.

One those scholars is Ibn Jini whose productions made a wealth books. His book, Al-khasis, which deals with grammar and eloquence. This book contains many materials to discuss. Those materials are related to doctrine.

God is the Arbiter of Success.

## ملخص البحث

فان بعد مضي عصر الصفاء النبوي الكريم -، وانقضاء عهد الصحابة الكرام، ونتيجة لاتساع رقعة الاسلام؛ كثرة التساؤلات الدينية وخاصة في مسائل العقيدة فقد برز كثير من اهل العلم رحمهم الله - في جميع ميادين المعرفة؛ لكي يفيضوا على العباد مما انعم الله عزوجل عليهم من المعارف المفيدة، وكان من بعدهم اهتمام الباحثين من مصنفاتهم والارث الحضاري الذي تركوه، فكان مجالاً رحباً لدراسة هذا الارث المبارك الذي تناقله العلماء جيلاً بعد جيل. فكان من اهم تلك المصنفات ما تركه ابن جني رحمه الله - من مصنفات ارفدت المكتبة العربية الاسلامية بهذا الارث الحضاري الثمين؛ والتي كانت مطلعا للباحثين والقراء؛ فكوني باحثاً اكاديمياً تناولت احد مصنفاته الا وهو كتاب الخصائص؛ الذي تناول فيه مادة النحو والكلام والبلاغة والذي اشتهر فيه، ووجدت فيه مادة عقدية اثار فيها مسائل تحتاج الى تحقيق وروية؛ لفهم النص المعروف وبيان مشكلاته؛ لكون عبارة ابن جني عالية الجودة عند تناوله المسائل العقدية؛ مما دفعني على دراسته، فأسال الله تعالى التوفيق والسداد وهو القادر عليه.



يستدل عليه من وجهين :

الاول: كونها نالت شرف اللغة العربية؛ التي هي لغة كلام الله تعالى - القرآن الكريم التي بها شرف الله تعالى - العرب .

والثاني: كونها امر عقدي قلبي؛ الذي به يستقيم حال الانسان؛ فاذا استقام باطنه استقام ظاهره. فمن دواعي السرور والاطمئنان ان هداي الله تعالى - الى كتاب مشهور في اللغة وهو كتاب (الخصائص) لابي الفتح الذي تبنى فيه مواقفه الكلامية فيه؛ لاني لم اعثر على كتاب له مستقل لمواقفه الكلامية، وانما تبناه في هذا الكتاب فعند القراءة في ابواب هذا الكتاب ظهر لي مسائل مهمة كلامية عرضها وابدى رأيه فيها فقيدها فمنها ما كان مسددا بالدليل العلمي، ومنها ما يحتاج الى تحقيق والوقوف على النص وعرض الآراء الاخرى؛ لكي يستقيم التحليل والتوفيق والنقد والترجيح لما هو اقرب للدليل سواء كان النقلى والعقلي المستند الى الدليل العلمي. فقد برزت عندي اهمية البحث بما يلي:

١ - اهتمام اهل العلم اصحاب اللغة العربية في مسائل العقيدة.

٢ - ان ابن جني (ت ٣٩٢هـ) عرض في كتابه اراء عقديّة متقدمة؛ فهو سبق فيها كثيرا من كان على شاكلته من خلال مذهبه الاعتقادي الذي سنعرضه من خلال سيرته فلم يكتفي بالعرض فقط وانما بالتدقيق والتوضيح والالتزام.

٣ - تأثير الرأي الاعتقادي باهل العلم وخاصة

## المقدمة

الحمد لله العلي الكبير المتعال ، المتصف بصفات الكمال، الذي شملت قدرته كل مخلوق وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور، الذي خلق الموت والحياة ليلوهم ايهم احسن عملا وهو العزيز الغفور القادر. وأصليّ على أشرف الخلائق من بعده ومن قبله، محمد ﷺ أكرم من وطئ الحصى بنعله، وعلى آله وأصحابه وسلّم.

وبعد؛ فان من نعم الله تعالى - على الامة الاسلامية ان هيا لها بعد القرون الاولى المباركة رجالا مجدين غير متكاسلين ولا ممتعضين؛ همهم بيان المعارف بشتى اصنافها فهياً لهم اسباب التوفيق بحفظ هذه العلوم المباركة بشتى ميادينها؛ ولولا هذا النقل عنهم كابرا عن كابر؛ لما وصل الينا منها شيء، فكان لأهل العلم الفضل بعد الله عزوجل المتقدمين منهم والمتأخرين، وان دل على شيء فإنما يدل على حرصهم على هذا التراث العظيم وبركة الامة المحمدية التي نالتها بركة الحبيب المصطفى ﷺ

بالدعاء والمحبة لهم من جنابه الشريف الطاهر ﷺ . فان مسائل الاعتقاد من اهم الواجبات على العبد؛ لأنها متعلقة بالذات العلية عزوجل ، التي امر بها والتي بها يستقيم امر الانسان اذا صلحت؛ لأنها امور اعتقادية محطها القلب ، فاذا وجدت هذه المسائل في مصنفات العربية فان فضلها وشرفها

## «مواقف كلامية مع ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه الخصائص (دراسة نقدية)»

أ. م. د. محمد سلمان داود || ٨٦٣

- علماء اللغة العربية؛ كون علل المتكلمين المتقنين  
اقرب لأهل اللغة من غيرهم وهو ما ثبته ابن جني.  
بملاحظته بالخصائص.
- ٤- تسلط بعض علماء العربية على رأي الفلاسفة  
في معتقداتهم.
- منهج الدراسة:  
تعتمد هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الدقيق لآرائه  
واراء اهل العلم والفرق الاخرى؛ لكي يتبين لنا  
الرأي السديد من غيره من خلال عرض نص ابن  
جني وتحليله وبيانه من خلال هذه الدراسة.
- أهمية الدراسة:  
عزمت بعد التوكل على الله تعالى - ان اعمل بحثا  
اخدم بيه هذا الكتاب المهم؛ لكثير من الدارسين  
والمتعلمين والقارئین له من طلبة العلم وغيرهم؛  
لتوضيح مسائل الاعتقاد لكي يتسنى لهم فهم النص  
العقدي الذي نص عليه ابن جني فكان العنوان  
كالاتي (مواقف كلامية عند ابن جني (ت ٣٩٢هـ)  
في كتابه الخصائص - دراسة نقدية ) تناولت فيه  
مبحثين الاول السيرة الشخصية والعلمية والمبحث  
الثاني: تناولت فيه مسائل كلامية من خلال نص  
ابن جني لكل مسألة فكانت الاولى: كلام الله  
تعالى - ام قول الله تعالى - وايهما انسب بالاعتقاد.  
والثانية نص ابن جني في خلق الافعال. والتي بينت  
فيها مسألة الحقيقة والمجاز؛ لاعتماد ابن جني  
فيها بمسألة الاعتقاد لهذه المسائل، و الثالثة قوله:  
بنظرية الكسب .
- أسئلة الدراسة:  
- ما هي شخصية ومذهب ابن جني الكلامي ومدى  
تأثره به؟  
- اثار مسألة مهمة ايهما اولى نقول كلام الله ام قال  
الله؟  
- ما هي القاعدة التي اسسها ابن جني ، في مسألة  
خلق الافعال اهي خلق الله ام العبد؟ وماذا تعني  
نظرية الكسب له؟  
ختاماً .. هذا بحثي المتواضع، فان اصبت فذلك  
فضل الله تعالى -علي ، وان اخطأت فمن نفسي،  
ومن الشيطان الرجيم، ونسأل عزوجل أن يجنبنا  
الزلل والشطط، وأن يعفوا عنا وأن يسامحنا، وأن  
يمسكنا بالأصلين كتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يجعلنا  
من العاملين .
- \* \* \*

كانت وفاته ببغداد. <sup>(٢)</sup> وقد اجمعت جميع التراجم والطبقات بان وفاته كانت في يوم الجمعة ليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين و ثلاثمائة. التي قضى فيها سبعين عاما متعلما وعالما يدرس فيها الى توفاه الله تعالى الى مستقر رحمته سبحانه. في خلافة القادر بالله تعالى <sup>(٣)</sup>

## المبحث الأول

### الحياة الشخصية لابن جني وكتابه الخصائص

• **المطلب الثاني: حياته العلمية ومذهبه الكلامي:**  
تبين عند القراءة بان ابن جني كان من اعلام الكلام واللغة والادب؛ فمن كانت هذه سمته فلا بد ان تكون له حياة علمية مشرفة قضاها بين مؤلفاته، وشيوخه وتلاميذه فمن هذا المنطلق سنعرض باختصار عن اهم شيوخه وتلاميذه واهم مؤلفاته:  
**أولاً: شيوخه:** قد انعم الله تعالى - على ابن جني بصحبة مباركة من اهل العلم رحمهم الله - تتلمذ على ايديهم ونهل منهم هذا العلم وكان من اهمهم:  
١- **أبو العباس:** أحمد بن محمد أبو العباس النحوي. من أهل الموصل، وكانت له حلقة ببغداد، كان إماماً في النحو فقيهاً فاضلاً عارفاً بالمذهب، وعنه أخذ ابن جني النحو بالموصل، وله كتاب في تعليل وجوه القراءات السبعة. <sup>(٤)</sup>

قبل البدء في بيان المسائل الكلامية التي تطرق اليها الشيخ ابو الفتح ابن جني لابد من بيان الحياة الشخصية لهذا العالم باختصار؛ كون ان كثير من الباحثين من اللغويين قد تناولوا هذه الشخصية الكبيرة التي تعتبر مرجعا لهم للتوثيق والتدقيق

• **المطلب الاول: السيرة الشخصية وتضمن:**

**اولاً: اسمه ونسبه وكنيته:** اتفقت جميع التراجم على ان اسم ابن جني هو : عثمان بن جني الموصلية، من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو ٧٠ عاما. وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلية. وكنيته ابو الفتح. <sup>(١)</sup>

**ثانيا: نشأته:** يذكر صاحب كتاب انباه الرواة على انباء النحاة؛ بان ابو الفتح رحمه الله - نشأ واستوطن دار السلام، و درس بها العلم إلى أن مات. و

(١) ينظر: نزهة الالباء في طبقات الادباء، للانباري: ٢٤٦/١، ومعجم الادباء، للحموي: ١٥٨٥ /٤ ووفيات الاعيان، لابن خلكان: ٢٤٦/٣، وسير اعلام النبلاء، للذهبي: ١٧/١٧، والاعلام، للزركلي: ٢٠٤/٤

٢- **الفارسي:** أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي؛ ولد بمدينة فسا واشتغل ببغداد، ودخل

(٢) ينظر: انباه الرواة، للقفطي: ٢١/٢

(٣) ينظر: المصادر السابقة انفسها

(٤) ينظر: العقد المذهب، لابن الملقن: ٢٥٤

ابن جني النحوي قال: «كنت قرأت ديوان أبي الطيب المتنبي عليه، فقرأت عليه قوله في كافور القصيدة التي أولها:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب \* وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب<sup>(٥)</sup> وفي موضع آخر ذكر ابن جني قال: «حدثني المتنبي وقت القراءة عليه قال لي حنزابه وزير كافور أحضرت كتبي كلها وجماعة من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى فلم يظفروا بذلك وكان أكثر من رأيت كتباً.»<sup>(٦)</sup> حتى ان ابن جني رثاه عند موته وهذا دليل على ملازمته له والتأثر به في الادب العربي.<sup>(٧)</sup> وعلى ما يبدو ان ابن جني رحمه الله - قد اشتهر بتلمذته على هذين العالمين ؛ وذلك لكثرة ملازمته لهم ولشهرتهم في ميدان هذا العلم.

ثانياً: تلاميذه : لا شك ان عدد تلاميذ ابو الفتح كثر؛ ولا سيما عندما ترأس مجلس شيخه ابا علي الفارسي من بعده ، فضلاً عن قيامه بالتدريس والتأليف طيلة حياته التي قضاها بين طلابه والتي كان من اشهرهم :

إليها سنة سبع وثلاثمائة، وكان إمام وقته في علم النحو ، ومن تصانيفه كتاب «التذكرة، و المقصور والممدود، وكتاب الحجة في القراءات، وكتاب الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني، وكتاب المسائل البغداديات . ومصنفاته نافعة.<sup>(١)</sup> وهو من اهم شيوخ ابن جني؛ الذين لازمهم وانه تصدر مجلسه بعد وفاته ببغداد (٣٧٧هـ)؛ والذي يدل على ان ابا علي الفارسي هو احد شيوخه البارزين ما ذكرته كتب التراجم بان من تلامذته ابو الفتح بن جني.<sup>(٢)</sup>

٣- المتنبي: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي: الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي.<sup>(٣)</sup> فقد كان من ابرز شيوخه التي تلقى عنهم الادب العربي ، فقد لازمه فترة طويلة وقرأ عليه ديوانه ، وبعد ذلك تناول شرحه من خلال بيان معانيه واعرابه واجاد فيه ، وبين هذه المشيخة اهل التراجم<sup>(٤)</sup> بقولهم عند ترجمة المتنبي بان أبو الفتح (١) ينظر: وفيات الاعيان ، لابن خلكان: ٨٠/٢-٨١، ومعجم الادباء ، للحموي: ٨١١/٢

(٢) ينظر: وفيات الاعيان، لابن خلكان: ٢٤٦/٣، وسير اعلام النبلاء، للذهبي: ٣٧٩/١٦، والاعلام، للزركلي: ٢٠٤/٤.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب: ١٦٣/٥، وفيات الاعيان، لابن خلكان: ١٢١/١-١٢٢، والاعلام، للزركلي: ١١٥/١

(٤) ينظر: وفيات الاعيان ، لابن خلكان: ١/١٢٢، ومعجم الآداب في معجم اللقب، للقوطني: ٣٤٦/٤، وسلم

الوصول الى طبقات الفحول، حاجي خليفة: ٣٣٠/٢

(٥) شرح ديوان المتنبي، للواحدي: ٣٢٨/١

(٦) يتيمة الدهر ، للاصمعي: ١٧٠/١

(٧) ومطلع قصيدته في رثاء المتنبي: غاض القريض وأودت نضرة الأدب ... وصوحت بعد ري دوحه الكُتب .

ينظر: الوافي بالوفيات ، للصفدي: ٢١٣/٦

ثالثاً: ثقافته ورحلاته العلمية: ترك ابن جني ارثاً حضارياً كبيراً من خلال مؤلفاته التي تنمي على ثقافته العالية وعلميته الرصينة، فقد ترك عدداً كبيراً من مؤلفاته؛ لكي تكون شاهدة على رصانة عقله وفهمه لعلم الآلة<sup>(٤)</sup>، وعلوم أخرى بالأدب العربي، وعلم الكلام، وشواذ القراءات وخاصة في كتاب الخصائص؛ الذي بين موقفه الكلامي والبلاغي إضافة لآرائه النحوية علماً أنه قد أجاز لكثير من طلابه الإجازة العلمية لكي يروي عنه مروياته؛ بدليل ما ذكره صاحب معجم الأدباء الذي يؤيد مصنفاته التي تركها لطلابيه بقوله: «كتب ابن جني إجازة بما صورته بسم الله الرحمن الرحيم قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر أدام الله عزه أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري أيد الله عزه عنده.»<sup>(٥)</sup> ثم بسط الكلام في أغلب مصنفاته التي أجاز فيها، والتي نسبها إليه وهي ثابتة اليها والتي كان منها (الخصائص) محل دراستنا إن شاء الله - قال الحموي رحمه الله - لكي يثبت هذه المصنفات له وإن له رحلات قضاهما بين العراق والشام والموصل؛ وهذه دلالة على رصانة

١- الاخفش: الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الموصلي النحوي الاخفش وهو من الذين تتلمذوا على ابن جني بدليل قول صاحب سلم الوصول بان الاخفش كان من الفضلاء وانه: «قرأ على ابن جني وأقام ببغداد. وصنّف كتاباً في تعليل القراءات. وهو ثاني الاخفشين»<sup>(١)</sup>

٢- الثمانيني: عمر بن ثابت أبو القاسم الثمانيني النحوي الضرير، وهو من الذين اخذوا العلم من ابن جني بدليل ما ادلاه صاحب معجم الادباء في ترجمة الثمانيني بقوله هو «إمام فاضل وأديب كامل، أخذ عن أبي الفتح ابن جني ٥٠٠٠٠ علم النحو والتصريف ومات الثمانيني في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في خلافة القائم بأمر الله، وهو منسوب إلى سوق ثمانين، بليد صغير بأرض جزيرة ابن عمر بأرض الموصل من ناحية قردى، يقال إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان.»<sup>(٢)</sup>

٣- القزويني: علي بن عمر بن محمد أبو الحسن البغدادي المعروف بالقزويني، وقد بين فضله أهل التراجم وانه تتلمذ وقرأ النحو على ابن جني بدليل قول القاضي شهبة «وقرأ النحو على ابن جني وعلق عنهما تعلقيتين توفي في شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة.»<sup>(٣)</sup>

(٤) تقسم العلوم الى العلم (الالي والاستقلالي) الالي: وهو ما يدرس لأجل فهم غيره من العلوم مثل النحو، والمنطق والاصول، والاستقلالي: الذي يدرس لأجله مثل الفقه والعقيدة وغيرها.

(٥) معجم الادباء، للحموي ٤٧٨/٣

(١) سلم الوصول، لحاجي خليفة: ٢٤٤/١

(٢) معجم الادباء، للحموي: ٢٠/٥

(٣) طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة: ٢٣٠/١



واجازاته العلمية تدل على سعة فهمه ورجاحة عقله. رابعاً: مذهب الكلامي: لا يخفى ان ابن جني من رجال المعتزلة<sup>(٢)</sup> المشهورين بالتصنيف والتأسيس الكلامي لهذه المدرسة بدليل ما حوته كتب التراجم والطبقات، وان اغلب مسائل الاعتقاد الاعتزالية يقول بها بدليل ما اصله في كتابه الخصائص، بعد كلامه في العوامل اللفظية والعوامل المعنوية: « وإما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من النصب والرفع والجر والجزم، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره فأكد المتكلم بنفسه ليرفع الاحتمال، ثم زاد تأكيداً بقوله: لا لشيء غيره وإنما قالوا لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ أو باشتمال المعنى على اللفظ»<sup>(٣)</sup>؛ لكي ينسبوا خلق الأفعال للإنسان، والقول بالمتوالدات بان الألفاظ يحدث بعضها بعضها. وهذا قول المعتزلة التي هو احد رجالته الذي برز في علم النحو الذي من خلاله تبنى

(٢) هم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل الحسن البصري إلى زاوية المسجد بسبب مقولته: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين، فطرده فاعتزل وجلس إليه عمرو بن عبيد، فقبل لهما ولأتباعهما معتزلون، وهو متفقون على نفي الصفات الزائدة، وإن القرآن محدث ومخلوق، وإنه تعالى ليس خالقاً لأفعال العباد، وهم سبع عشرة فرقة. ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي: ٤٥.

(٣) الخصائص، لابن جني: ١/١١٠، وينظر: المفصل،

لزمخشري: ٣٣، و الرد على النحاة، للقرطبي: ٦٩

علمه وقدرته الواسعة على الفهم وما له شهرة بين البلاد ووقعه الخاص في نفوسهم: « منها كتابي الموسوم (بالخصائص) وحجمه ألف ورقة وكتابي التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري رحمه الله ، وكتابي في (سر الصناعة)، وكتابي في شرح (مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها) وكتابي في (شرح المقصور والممدود عن يعقوب بن إسحاق السكيت) وكتابي في تفسير (ديوان المتنبي الكبير) وكتابي (اللمع في العربية) وكتابي في اسم (المفعول المعتل العين) من الثلاثي على إعرابه في معناه وهو المقتضب وما بدأت بعمله من كتاب تفسير (المذكر والمؤنث)... ثم يبين نص بان له رحلات علمية: درس في تلك البلدان واعطى فيها اجازة علمية للرواية عنه: من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي رحمهم الله وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتيتها وأقمت بها مباركا له فيه منفعاً به بإذن الله وكتب عثمان بن جني بيده حامداً لله سبحانه في آخر جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.»<sup>(١)</sup>.

افاد البحث في جانب ثقافته بان هذه النصوص الواردة من اهل العلم تدل على ابن جني رحمه الله كانت له ثقافة واسعة من خلال اطلاعه وملازمته لشيوخه الذي كان لهم الاثر الكبير الذي اكسبه الخبرة العلمية، ورحلاته التي تنقل بها بين البلدان

(١) معجم الادباء، للحموي: ٤/٤٧٨-٤٧٩

مواقفه الكلامية وتعليقه؛ بان علل النحويين اقرب للمتكلمين وبهذا اشتهرت آراءه الكلامية في كتابه الخصائص؛ الذي يعتبر المصدر الناطق عن آرائه الكلامية وهذا ما سنبينه في ثنايا البحث ان شاء الله.

## المبحث الثاني

### المسائل الكلامية التي تناولها في كتابه الخصائص

كما اوردنا سلفا ان كتاب الخصائص هو من اشهر الكتب التي تبني مواقفه الكلامية فيها؛ ومما يجب الاشارة اليه التي كان منها المسائل العقدية الواردة في هذا الكتاب؛ والتي منها سيكون منطلق البحث ان شاء الله. وسأعقد لها عدة مسائل لما تقتضيه وتستوفيه المادة العلمية حسب ترتيب كتاب الخصائص.

\* \* \*

المسألة الاولى: كلام الله تعالى - ام قول الله تعالى - وايهما انسب بالاعتقاد:

بين ابن جني رحمه الله- في بداية كتابه الخصائص على مسألة مهمه الا وهي كلام الله تعالى - التي تصادم فيها كثير من الناس وخاصة في الموطن الاعتقادي وهل يكون الاطلاق كلام الله ام قول الله تعالى - علما اني لم اجد احد من المتكلمين رحمهم الله - قد تطرق لهكذا مسألة حسب علمي وقراتي في ثنايا المصنفات ، ولكنني وجدت ابن جني قد تناول هذه المسألة في كتاب الخصائص في باب القول على الفصل بين الكلام والقول فأحببت ان ابدأ بها مسألة لتكون محط اهتمام الدارسين والباحثين ان شاء الله- فبعد ان بين

على (الإعتقادات) والآراء وذلك نحو قولك فلان يقول بقول أبي حنيفة ويذهب إلى قول مالك ونحو ذلك أي يعتقد ما كانا يريانه ويقولان به لا أنه يحكي لفظهما عينه من غير تغيير لشيء من حروفه.<sup>(٥)</sup> وبذلك خرج بمحصلة مفادها بان فرق بان نقول قول الله او كلام الله تعالى - بان نقول كلام الله اولى من قولنا قول الله؛ وهو «إجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقال القرآن قول الله وذلك أن هذا موضع ضيق متحجّر لا يمكن تحريفه ولا يسوغ تبديل شيء من حروفه فعبر لذلك عنه بالكلام الذي لا يكون إلا أصواتاً تامّة مفيدة وعدل به عن القول الذي قد يكون أصواتاً غير مفيدة وآراء معتقدة».<sup>(٦)</sup>

اما التحقيق في هذه المسألة فقد جاءت آيات قرآنية كريمة تدل على كلا اللفظين الكريمين قول الله وكلام الله تعالى - وقد وردت في القرآن الكريم - منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة الآية ٣٠] وقوله تعالى ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئُ﴾ [مريم الآية ٩] وقوله تعالى ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الدّاريات الآية ٣٠] فبعد التحقيق بهذه المسألة وجد ان (قال ربك) في مواضع القرآن الكريم:

(٥) الخصائص، لابن جني: ١٨/١.

(٦) المصدر السابق نفسه

اشتقاق لفظة (الكلام) وهي: (كلم) فهي متى قلبت دلت على القوة والشدة «والمستعمل منها أصول خمسة وهي ك ل م، ك م ل، ل ك م، م ك ل، م ل ك وأهملت منه ل م ك فلم تأت في ثبّت».<sup>(١)</sup> فلهذا استخراج الاصل مستدلاً بقوله: و«الأصل الأوّل ك ل م» منه الكلم للجرح وذلك للشدة التي فيه وقالوا في قول الله سبحانه ﴿ذَابَّةٌ مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل الآية ٨٢] قولين أحدهما من الكلام والآخر من الكلام أي تجرحهم وتأكلهم وقالوا الكلام ما غلظ من الأرض وذلك لشدته وقوته.<sup>(٢)</sup> ثم بعد ذلك استخراج الفرق بين الكلم والقول؛ لكي يثبت ان كلام<sup>(٣)</sup> الله تعالى - اولى من قول<sup>(٤)</sup> الله تعالى - وان بينهما عموم وخصوص، واراد بذلك لكي يحد من باب الاعتقادات بان لفظ قول تدل على الاعتقاد برأي ما لم يقل بألفاظه بدليل قول ابن جني: «فكل كلام قول وليس كل قول كلاماً هذا أصله ثم يتسع فيه فيوضع القول

(١) الخصائص، لابن جني: ١٣/١.

(٢) الخصائص، لابن جني: ١٣/١.

(٣) فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك وقام محمد. ينظر: الخصائص، لابن جني: ١٧/١، وينظر: الفية ابن مالك: ٩.

(٤) أنه كل لفظ مدل به اللسان تاماً كان أو ناقصاً فالتام هو المفيد أعني الجملة وما كان في معناها من نحو صه وإيه والناقص ما كان بضد ذلك نحو زيد ومحمد وإن وكان أخوك إذا كانت الزمانية لا الحديثة. ينظر: الخصائص،

لابن جني: ١٧/١.

كَلَّمَ اللَّهُ ﴿التَّوْبَةَ الآية ٦﴾ وقوله ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ﴾  
[الْفَتْح الآية ١٥] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾  
[الأعراف الآية ١٤٣] فان تحقيقها :

١- أن الله تعالى متكلم، بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره، والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات<sup>(٦)</sup>.

٢- من خلال السياق القرآني الكريم - لابد من التفريق من يكلمه الله تعالى - بواسطة ومن يكلمه من وراء حجاب: والكلام كلام من قاله مبتدئا به لا كلام من قاله مبلغا ومؤديا، وموسى عليه السلام سمع كلام الله من الله بلا واسطة، والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض، فسماع موسى عليه السلام مطلق بلا واسطة، وسماع الناس مقيد بواسطة.<sup>(٧)</sup> بدليل قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا فَیُوحَىٰ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ [الشورى الآية ٥١].

٣- ان (كلام الله) صفة ذاتية ؛ لقيامه به واتصافه به عزوجل ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ

١- منها ان جاءت (قال ربك) و(قال ربكم) تدل على الاستقلالية ؛ اي استقلالية القصة المذكورة في القرآن الكريم سواء كانت قصة سيدنا ادم أو سيدنا ابراهيم او السيدة مريم عليها السلام.<sup>(١)</sup>

٢- عندما يذكر (قال) يراد بها التخصيص ؛ لعظم دلالة القصة المذكورة في القرآن الكريم فمثلا (واذ قال ربك للملائكة ان جاعل في الارض خليفة) جاءت لتخصيص سيدنا ادم عليه السلام في الخلافة.<sup>(٢)</sup>

٣- اما (قال) فإنها تأتي بمعنى الوحي التي هي نوع من انواع كلام الله عزوجل وهو اقل منزلة من التكليم من وراء حجاب.<sup>(٣)</sup>

٤- وحرف (اذ) فانه حرف توقيت يفيد الماضي، واذا جاء (اذ) مع المستقبل . لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ [الأنفال الآية ٣٠] كان معناه ماضيا.<sup>(٤)</sup>

٥- فانه عزوجل خاطبهم بـ(قال) لأجل تعليم عباده مشروعية المشاورة لهم.<sup>(٥)</sup>

أما اللفظة التي ترد في القرآن الكريم (كلام الله) والتي منها ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة الآية ٧٥] وقوله تعالى ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٣٩٥/١

(٢) ينظر: حقائق الروح والريحان، للهروي: ٢٨٩/١

(٣) ينظر: الفصل في الملل والنحل، لابن حزم: ٩/٣،

ولوامع الانوار البهية، للسفرائيني: ١٤٢/١

(٤) الكشف والبيان، للثعالبي: ١٧٤/١، وينظر: الفتح

القدير، للشوكاني: ٧٤/١

(٥) وينظر: الفتح القدير، للشوكاني: ٧٤/١

(٦) ينظر: قواعد الاعتقاد، للغزالي: ١٨٢

(٧) ينظر: الإبانة في اصول الديانة، للأشعري: ١٠١،

ومقالات الاسلاميين، للأشعري: ٥٨٧، واللمع للأشعري:

١٨، وتمهيد الاوائل، للباقلاني: ١٣٢، ولوائح الانوار

السنية، للسفرائيني: ٢٣٢/١

أما المعتزلة<sup>(٢)</sup>: قد ادلوا بدلوهم بهذه المسألة ؛ وذلك لان ابن جني احد رجالها الذين تابعهم في اصول اعتقادهم فهم يرون كلام الله عزوجل عبارة عن حروف وكلمات مقطعة ، وهو ليس جنسا ، او نوعا ذا حقيقة عقلية كسائل المعاني ، بل هو مجرد اصطلاح ولا يكون الا باللسان فمن قدر عليه فهو المتكلم ، ومن لم يقدر عليه فهو الاعجم الابكم ، وبهذا يعللون ما دام الكلام حركة ؛ فهو عرض ؛ وبما ان الاعراض مخلوقة ؛ فاذا الكلام مخلوق ؛ فبهذا التعليل قالوا بخلق القران الكريم ؛ بان الله عزوجل متكلم ، ولكن لا بكلام قديم ، وانما بكلام محدث ؛ يحدثه وقت الحاجة الى الكلام .<sup>(٣)</sup> وهذا نص ما حكاه المعتزلة بان « القران : كلام الله تعالى - ووحيه مخلوق محدث انزله الله تعالى - على نبيه ؛ ليكون علما دالا على نبوته .»<sup>(٤)</sup>

(٢) هم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل الحسن البصري - رحمه الله - إلى زاوية المسجد بسبب مقولته: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين، فطرده فاعتزل وجلس إليه عمرو بن عبيد، فقبل لهما ولأتباعهما معتزلون، وهو متفقون على نفي الصفات الزائدة، وإنّ القرآن محدث ومخلوق، وإنّ الله تعالى ليس خالقاً لأفعال العباد، وهم سبع عشرة فرقة. ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي: ٤٥

(٣) ينظر: البرهان، للجويني: ٦١، والارشاد، للجويني: ١٠٠، وشرح الاصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار: ٥٢٧، واصول الدين، للدوري: ١٦٢، والبروسوي وارهه الكلامية، لعبد الجبار: ١٤٦

(٤) شرح الاصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار: ٥٢٧،

اللَّهِ ﴿التَّوْبَةَ الْآيَةَ ٦﴾ . وصفة فعلية لله عزوجل ؛ لتعلقه بمشيئته وقدرته، فالله عزوجل يتكلم متى شاء، وبما شاء بدليل : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) ؛ فالتكلم حَصُلٌ بعد مجيء موسى عليه السلام، فدلّ على أنه متعلق بمشيئة الله عزوجل علما ان الفرق بين كلام الله عزوجل المسموع من المشركين عند الاجارة ، غير ” هو كلام الله تعالى القديم القائم بذاته فأى فضل لموسى عليه السلام في اختصاصه بكونه كليماً لله على المشركين وهم يسمعون؟ ولا يتصور عن هذا جواب إلا أن نقول: مسموع موسى عليه السلام مصفة قديمة قائمة بالله تعالى، ومسموع المشرك أصوات دالة على تلك الصفة. وتبين به على القطع الاشتراك إما في اسم الكلام وهو تسمية الدلالات باسم المدلولات، فإن الكلام هو كلام النفس تحقيقاً، ولكن الألفاظ لدلالاتها عليه أيضاً تسمى كلاماً كما تسمى علماً؛ إذ يقال سمعت علم فلان وإنما نسمع كلامه الدال على علمه.<sup>(١)</sup>

ولكي نحرص على فهم المسألة بعد هذا التحقيق في هذه المسألة ؛ لابد من ذكر مذهب المعتزلة واصحاب اهل الحق من اهل السنة والجماعة ؛ لتكتمل الفكرة ان شاء الله .

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي: ٧٤، وينظر: ماذا تعرف عن الله ، للقلموني: ٣٢

والثاني: الوجه الثاني أن من يورد صيغة أمرا ونهي أو نداء أو إخبارا واستخبارا وغير ذلك يجد في نفسه ويدور في خلدته ولا يختلف باختلاف العبارات بحسب الأوضاع والاصطلاحات ويقصد المتكلم حصولها في نفس السامع ليجري على موجبها هو الذي نسميه كلام النفس.<sup>(٢)</sup> اذن فالكلام النفسي للباري هو القديم وهو كلامه ليس من جنس الأصوات والحروف بل "صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى منافية للسكوت والآفة كما في الخرس والطفولية هو بها أمر ناه مخبر وغير ذلك يدل عليها بالعبارة أو الكتابة أو الإشارة فإذا عبر عنها بالعربية فقرآن وبال يونانية فإنجيل وبال عبرانية فتورا وبال سريانية فزبور فالاختلاف في العبارات دون المسمى.<sup>(٣)</sup>

فبعد التحقيق بهذه المسألة عند اهل العلم رحمهم الله- وبين النص الذي حكاه ابن جني و بعد التعليل في مسألة ايهما اولى (قول الله، وكلام الله) ومن ثم عرض مذهب اهل الحق، ومذهب المعتزلة، ممكن

ان نكشف غطاء هذه المسألة ان شاء الله

١ - على ما قرره اهل الحق رحمهم الله- قولنا (كلام الله) اعم من قولنا (قال الله) ؛ لان القول جزء من

(٢) شرح المقاصد، للتفتازاني: ١٠١-١٠٠/٢

(٣) شرح المقاصد، للتفتازاني: ٩٩/٢، وينظر: تمهيد الاوائل، للباقلاني: ٤٦، والانتصار في الرد على المعتزلة، للعمري: ١/١٢٥، والاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي: ٧٤، وقواعد القواعد، للغزالي: ٥٩

أما هل السنة والجماعة المتمثلة بالأشاعرة<sup>(١)</sup> رحمهم الله: فقد قسموا كلام الله عزوجل الى قسمين النفسي والحسي ومفاد استدلالهم بوجهين: كلام الله وكونه نفسيا لا حسيا وتحقيقه بوجهين: الأول: «أن المتكلم من قام به الكلام لا من أوجد الكلام ولو في محل آخر للقطع بأن موجد الحركة في جسم آخر لا يسمى متحركا وأن الله لا يسمى بخلق الأصوات مصوتا وإنما إذا سمعنا قائلا يقول إنا قائم يسميه متكلمنا وإن لم نعلم أنه الموجد لهذا الكلام بل وإن علمنا أن موجده هو الله كما هو رأي أهل الحق وحينئذ فالكلام القائم بذات الباري لا يجوز أن يكون هو الحسي أعني المنتظم من الحروف المسموعة لأنه حادث ضرورة أن له ابتداء وانتهاء وأن الحرف الثاني من كل كلمة مسبق بالأول ومشروط بانقضائه وأنه يمتنع اجتماع أجزائه في الوجود.

وينظر المعتمد، لابي علي البصري: ٩/١، والكشاف، للزمخشري: ٥٩١/١

(١) مدرسة كلامية مثلة اهل السنة والجماعة ودافعت عن الدين من شبهات واعتراضات المخالفين ومؤسس مذهبها علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري: . كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها «إمامة الصديق» و«الرد على المجسمة» و«مقالات الإسلاميين» و«الإبانة عن أصول الديانة»- توفي سنة ٣٢٤هـ ينظر: الاعلام، للزركلي: ٢٦٣/٤

أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَكَلَامِهِ ثُمَّ تَلَوْنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدَّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى (٣) والتكليم من وراء حجاب «أعلى من سائر الوحي بنص القرآن؛ لأن الله تعالى سمي ذلك تفضيلاً كما تلونا وكل ما ذكرنا وأن كان يسمى تكليماً فالتكليم المطلق أعلى في الفضيلة من التكليم الموصول» (٤).

وتحرير ما افادناه وبالله عصمة التوفيق: فان آيات القرآن الكريم- بعضها اعلى رتبة من بعض؛ وآيات التوحيد اعلى رتبة من آيات الاحكام؛ لان آيات التوحيد تصف ذات الباري عزوجل وتنزهه عن النقص. وكذلك مسألة (قول الله) ام (كلام الله)؛ والذي استظهر لي من قول ابن جني رحمه الله- في كتابه (الخصائص) بقوله: "بان كل كلام قول وليس كل قول كلاماً" (٥). والملاحظ من قوله ان بينهما عموم وخصوص، والخاص يدخل تحت العام فنقول: بان (كلام الله) اعلى رتبة من ان نقول (قال الله)، وان (القول) جزء من (الكلام) والكل اولى واعلى رتبة من الجزء. وكلام الله عزوجل مكتوب في المصاحف ولكنه ليس حالاً في مصحف، ولا قائماً بقلب ولكن الكتابة حادثة، والمفهوم من (٣) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]، رقم ٧٥١٥، ١٤٨/٩ (٤) الفصل في الملل والنحل، لابن حزم: ٩/٣ (٥) الخصائص، لابن جني: ١٨/١

الكلام. والخاص يدخل تحت العام. وعلى هذا فان قولنا (كلام الله)؛ لكي يدخل الكلام النفسي اي: المعنى القائم بالنفس، والحسي. (١)

٢- عند القراءة الفاحصة وجدت ان (قال) المضافة الى الرب عزوجل عند تحقيقها سلفاً؛ ان تفيد الاستقلالية والخصوص على ما عرضناه. اما (كلام الله) فاغلبها تدل على العموم؛ فهناك كلام قاله الله عزوجل من قبل، وكلام سيقوله عزوجل في المستقبل، فهو يخاطب من شاء، متى شاء. من خلال السياق القراني الكريم. (٢)

٣- قولنا (كلام الله) هو اعلى رتبة من (قال الله)؛ فعندما فضل المرسلين عليه السلام فضلهم بدلالة لفظ الكلام بقوله عزوجل ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة الآية ٢٥٣].

٤- منزلة الكلام مأخوذة من (الكلم) وهي لفظة تشريف من الرب سبحانه لسيدنا موس عليه السلام وهو اول كلهم يكلمه الله عزوجل على الارض من خلال الرسل الذين ذكرهم في القرآن الكريم - وبدلالة شهادة سيدنا ادم عليه السلام له في محاججته بدليل فعن أبي هريرة عليه السلام: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (اِحْتَجَّ آدَمُ، وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى:

(١) ينظر شرح ابن عقيل، ١٥/١، وشرح التوضيح، للوقاد: ١٨/١، ومذاهب الاسلامين، لبدوي: ١٥٠ (٢) ينظر: لمعة الاعتقاد، للمقدسي: ١٢، وينظر: ارشاد العباد، للبراك: ٥١

الكتابة قديم.<sup>(١)</sup>

المسألة الثانية: تحقيق كلام ابن جني في الحقيقة والمجاز (خلق الافعال، ونظرية الكسب)

عقد ابن جني بابا كاملا في كتابه الخصائص سماه الحقيقة والمجاز، وعرض فيه جملة من المسائل العقدية المهمة؛ فبعد القراءة في كتابه الخصائص عمدت ان اتناول المسائل مجزئة ومتسلسلة؛ لكي تكتمل الفكرة التي طرحها ابن جني من خلال باب المجاز التي تناولها من بعده البلاغيون بإسهاب :

أولا: تحقيق كلام ابن جني في الحقيقة والمجاز: قبل البدء بنص ما حكاه ابن جني في الحقيقة والمجاز<sup>(٢)</sup> لا بد من بيان معناهما باختصار؛ ومن ثم نبين غاية ابن جني في مسألة الحقيقة والمجاز الذي عد لها بابا كاملا؛ ليثبت مسألة خلق الافعال الى العباد ويفند قضية الكسب. فان الحقيقة

(١) مذاهب الاسلاميين، لبدوي: ١٥٠/١

(٢) قسم البلاغيون علوم البلاغة ثلاثة أقسام هي (علم المعاني): وأبرز موضوعاته: الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي، وأحوال المسند والمسند إليه. الخبر والإنشاء، الفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة، ٢-(علم البيان): وأبرز أبوابه: التشبيه وأنواعه وقيمته الجمالية، والحقيقة والمجاز، والاستعارة وأنواعها. والكناية وأقسامها وأنواعها، والصورة الشعرية، ٣-(علم البديع): وأبرز أبوابه: المحسنات المعنوية: الطباق، المقابلة، المبالغة، التورية، الالتفات، اللف والنشر، مراعاة النظير، التجريد، الإحصاء، التضمنين، الاقتباس. المحسنات اللفظية: الجناس، السجع. ينظر: علوم البلاغة، د. احمد محمد، ود محي الدين ديب: ٥١

معناها: « الحقيقة هي الكلام الموضوع موضعه؛ الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير كقول القائل: الحمد لله على نعمه وإحسانه.»<sup>(٣)</sup> فهذا الكلام حقيقي يمضي لسنته لا يعترض عليه، ولا توجد قرينة بمقابل الله عزوجل. اما المجاز: ” فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول.“<sup>(٤)</sup> ولهذا الكلام تحقيق لا بد من بيانه واستظهار المسألة فان المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس وهذا يقع ضرورة لا بد منها وهذا ما اثبتته علماء المنطق عندما بينوا اقسام الدلالة، التي منها العقلية، والوضعية، والطبيعية، من حيث الاجمال، وان الدلالة اللفظية الوضعية؛ هي التي نعتمدها؛ لأنها اسهل ومنضبطة، واعم فائدة؛ بمعنى ان اللفظ يدل على المحسوس والمعقول ويمكن التفاهم مع كل شخص يعلم وضعه. « فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له، فإذا نقل إلى غيره صار مجازا. ومثال ذلك أنا إذا قلنا «شمس» أردنا به هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء، وهذا الاسم له حقيقة لأنه وضع بإزائه. وكذلك إذا قلنا «بحر» أردنا به هذا الماء العظيم المجتمع الذي طعمه ملح، وهذا الاسم له حقيقة لأنه وضع بإزائه. فإذا

(٣) اسرار البلاغة، للجرجاني: ٢٤٨، وينظر: علم البيان،

عتيق: ١٣٨

(٤) المصادر السابق انفسها



بحر . فالمعاني الثلاثة موجودة فيه . أما الاتساع فلانه زاد في أسماء الفرس التي هي فرس وطرف وجواد ونحوها . وأما التشبيه فلأن جريه يجرى في الكثرة مجرى مائه وأما التوكيد فلأنه شبه العرض بالجوهر وهو أثبت في النفوس منه والشبه في العرض منتفية عنه ألا ترى أن من الناس من دفع الأعراض وليس أحد دفع الجواهر. (٦) وبدى واضحاً ان قاعدة ابن جني بان الكلام يكون مجازاً ويعدّل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عدت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة. (٧) بهذا الشرح الموجز ارى ان الفكرة نضجت لدى القارئ ان شاء الله-؛ علماً ان هذا الشرح فصلنا به بايجاز من غير تطويلا ولا اسهاب، وذلك لان مسائل العقيدة (خلق الافعال، وقضية الكسب) التي تناولها ابن جني وادخلها من ضمن المجازات؛ فارتأيت ان اوضح الحقيقة والمجاز قبل الشروع الى هذه المسائل. والتحقيق بها من خلال نص ابن جني في كتاب الخصائص. وكانت مواقفه الكلامية فيها على ما سنوضحه ان شاء الله

#### ثانياً: تحقيق قول ابن جني في مسألة (خلق الافعال)،

لبحراً» صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب من استعار من الناس الفرس، رقم ٣، ١٦٥/٢٦٣٧، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ، رقم ٢٣٠٧، ٤/١٨٠٣.

(٦) الخصائص، لابن جني: ٤٤١/٢

(٧) ينظر: الخصائص، لابن جني: ٤٤٢/٢

نقلنا «الشمس» إلى الوجه المليح استعارة كان ذلك له مجازاً لا حقيقة، وكذلك إذا نقلنا «البحر» إلى الرجل الجواد استعارة كان ذلك له مجازاً لا حقيقة<sup>(١)</sup>، بهذا فهمنا تحقيق مسألة الحقيقة والمجاز فان الحقيقة لا تنتقل الى المجاز الا بوجود (علاقة او قرينة) هذا ما اثبتته واجمع عليه اهل العلم من الاصوليين<sup>(٢)</sup> والبلاغيين<sup>(٣)</sup>، الا ان ابن جني وضع شروطاً للمجاز؛ للدلالة على التشبيه بين الحقيقة والمجاز عندما عقد باباً في كتابه الخصائص اسماء (الفرق بين الحقيقة والمجاز) التي من خلالها اقر؛ بان المجاز يعدل الى الحقيقة اذا توفرت فيه الاقسام الثلاثة (الاتساع - التوكيد - التشبيه) فاذ لم توجد هذه الاقسام بالكلام فان الحقيقة حكمه<sup>(٤)</sup> ولاستكمال المعلومة ضرب لنا مثال ابن جني لتقريب الصورة لهذه الاقسام وتتم الفائدة فقال: فمن ذلك قول النبي ﷺ في الفرس<sup>(٥)</sup>: هو

(١) ينظر: علم البيان، عتيق: ١٣٨-١٣٩

(٢) ومنهم الامام الامدي قال: المجاز لا يفيد عند عدم الشهرة إلا بقرينة. ينظر: الاحكام: ٤٦/١

(٣) ومنهم السكاكي: بدليل قوله: المجاز: فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير؛ بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن اردة معناها في ذلك النوع. ينظر: المفتاح، للسكاكي: ٣٥٩

(٤) ينظر: الخصائص، لابن جني: ٤٤٢/٢

(٥) عَنْ فَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا، يَقُولُ: كَانَ فَرَعٌ بِالْمَدِينَةِ، فَاسْتَعَارَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَسًا مِنْ أَبِي طَلْحَةَ يَقَالُ لَهُ الْمُنْدُوبُ، فَرَكِبَ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: «مَا رَأَيْتَا مِنْ شَيْءٍ، وَإِنْ وَجَدْنَا»

تحت الوهم، هذا محال عند كل ذي لب.<sup>(٢)</sup> فان ابن جني قد ادخل جميع اللغة في المجاز؛ لأنها تنطبق على قاعدته المشهورة كل لفظ دخل تحت (الاتساع، والتأكيد، والتشبيه) فهو مجارا حتما هذه القاعدة قاسها على المخلوق المحدث، ومن ثم قاسها على حال الرب سبحانه عز وجل بدليل قوله بعد ان عرض المسألة فادخل نصا كلاميا يحتاج الى تأمل وتحقيق؛ لكي لا يلتبس الامر على العامة وقليلي الصنعة، بان افعال القديم من الخلق، والامر، والافعال هي مجازية لا حقيقة لها. فقال "وكذلك أفعال القديم سبحانه نحو: خلق السماوات والأرض، وما كان مثله، ألا ترى أنه عز اسمه لم يكن بذلك خلق أفعالنا، ولو كان خالقا حقيقية لا محالة لكان خالق الكفر والعدوان وغيرهما من أفعالنا."<sup>(٣)</sup>

قوله في نظرية الكسب: عقد ابن جني في كتابه الخصائص بابا اسماء (ورود الوفاق مع وجود الخلاف) التي من خلاله ساق (نظرية الكسب) التي عارض بها اهل العلم من اهل السنة والجماعة من الاشاعرة القائلين بها؛ التي سنيينها من خلال عرضها في موضعها وبيان مرادهم فيها. فهو قد خطأهم في هذه النظرية واستخف بها؛ كونها لا توصل الى مجهول تصوري تصديقي فهم يحكمون عقولهم بعيدا عن التفكير بالآيات والاستدلالات

(٢) الخصائص، لابن جني: ٤٤٧/٢

(٣) الخصائص، لابن جني: ٦٥

ورأيه بنظرية الكسب): قال ابن جني عند عقده بابا في المجاز وعند تأمله في هذا الباب ابدى رأيه بان اللغة مجاز لا حقيقة وكذلك في كافة الافعال بدليل قوله: « اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة، وذلك عامة الأفعال، نحو: قام زيد وقعد عمر وانطلق بشر وجاء الصيف وانهزم الشتاء، ألا ترى أن الفعل يفاد منه معنى الجنسية<sup>(١)</sup>، فقولك: قام زيد، أي: الجنس من الفعل، ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام، وكيف يكون ذلك وهو جنس، والجنس يطبق جميع الماضي وجميع الحاضر وجميع الآتي الكائنات من كل من وجد منه القيام، فمعلوم أنه لا يجتمع لإنسان واحد في وقت واحد ولا في مائة ألف سنة مضاعفة القيام كله الداخلة

(١) الجنس: هو اللفظ الجامع لنوعين من المخلوقات فصاعدا، وليس يدل على شخص واحد بعينه كزيد وعمرو، ولا على جماعة مختلفين بأشخاصهم فقط كقوله: الناس، أو كقوله الأبل، أو كقولك القبلة، لكن على جماعة تختلف بأشخاصهم وأنواعهم كقولك « الحي » الذي يدل على الخيل والناس والملائكة والحي كل حي. والجنس الذي يتكلم عليه ليس يقع على بعض ما يقتضيه حده، لكن على كل ما يقع عليه لحد، والجنس لا يفارق ما تقع عليه التسمية به الا بفساد المسمى واستحاله. وذلك مثل قولك « الجوهر » فان هذه اللفظة يسمى بها كل قائم بنفسه حاملا لغيره، فلا يمكن أن يوجد شيء قائم بنفسه حامل لغيره لا يسمى جوهرًا، ولا يمكن أن يوجد جوهر لا يكون قائما بنفسه حاملا لغيره. ولو أنك توهمت هذا الشيء غير قائم بنفسه، لبطل أن يسمى جوهرًا. ينظر: التقريب لحد المنطق، لابن حزم: ٢٠، ومعيار المنطق، للغزالي: ١٠١-١٠٦

أما الافعال الاختيارية: وهي الواقعة بحسب قصودنا ودواعينا مثل حركتنا يمنة ويسرة، ويقوم، ويقعد، والكفر والعدوان، وغيرها من افعالنا.<sup>(٣)</sup> وهذه الافعال الاختيارية هي مورد النزاع.

اما المعتزلة فمذهبهم بهذه المسألة:

فانهم يذهبون الى ان الافعال الاختيارية منبثقة من الانسان، وان الله تعالى - اقدره على ذلك وهي غير مخلوقة للباري عزوجل - وان العبد هو خالق لافعاله وتقرير نص قولهم فقد ذكره صاحب كتاب الملل والنحل بعد ان بين القواعد التي ارتكز عليها المعتزلة ثم بين قاعدتهم في خلق الافعال بان « العبد هو الفاعل للخير والشر، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، وهو المجازي على فعله. والرب تعالى أقدره على ذلك كله. وأفعال العباد محصورة في الحركات، والسكنات، والاعتمادات والنظر، والعلم. قال: ويستحيل أن يخاطب العبد بافعال وهو لا يمكنه أن يفعل، ولا هو يحس من نفسه الاقتدار والفعل. ومن أنكره فقد أنكر الضرورة.<sup>(٤)</sup> ونص قولهم في موضع اخر: «اتفق كل اهل العدل على ان افعال العباد من تصرفهم وقيامهم

للتفتازاني: ١٢٥/٢، ورفع الشبهة، للمقدسي: ٤٢/١

(٣) ينظر: الكشاف، للزمخشري: ٥٤/٢، ٥٢١/٢، وتمهيد الاوائل، للباقلاني: ٣٤٦، والمنتقى من منهاج الاعتدال، للذهبي: ١٣٣/١، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن ابي العز:

٣٣٣/١، ورفع الشبهة، للمقدسي: ٤٢/١

(٤) الملل والنحل، للشهرستاني: ٤٧/١، والمحيط بالتكليف، للقاضي عبدالجبار: ١١١/١

الصريحة؛ وكونهم يقدمون العقل على النقل فلا تنضبط عندهم المسألة وقيسون الشاهد على الغائب في قياساتهم الباطلة فلهذا خطأ ابن جني هذه النظرية بدليل قوله «وهو أن كل فاعل غير القديم سبحانه وإنما الفعل منه شيء أعيره وأعطيه وأقدر عليه فهو وإن كان فاعلا فإنه لمّا كان مُعانا مُقَدِّرا صار كأنَّ فعله لغيره ألا ترى إلى قوله سبحانه ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال الآية ١٧]... ثم بعد ذلك رمى سهمه عليهم بالاستخفاف بنظريتهم وتخطيئها بقوله: نعم وقد قال بعض الناس: إن الفعل لله وإن العبد مكتسبه وإن كان هذا خطأ عندنا فإنه قول لقوم.<sup>(١)</sup> هذا ما ادلى بدلوه ابن جني في مسألة (خلق الافعال، ورأيه بنظرية الكسب) ولكي نستكمل المسألة؛ لا بد من بيان اقوال اهل العلم رحمهم الله - في هذه المسألة لكي يستبين لنا قول ابن جني في المسألة صحيحة من سقيمه.

فالأفعال تقسم الى قسمين: (الافعال الاضطرارية، والاختيارية) فالأفعال الاضطرارية: بانها التي لا مقدور للإنسان على ضبط تصرفها؛ مثل حركة النبض وحركة الواقع من شاهق والموت والمرتعش والنفس.<sup>(٢)</sup> فهذه ليس محلا للنزاع.

(١) الخصائص، لابن جني: ٢١٣/٢

(٢) ينظر: الكشاف، للزمخشري: ٥٤/٢، ٥٢١/٢، والمنتقى من منهاج الاعتدال، للذهبي: ١٣٣/١، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن ابي العز: ٣٣٣/١، وشرح المقاصد،

إلا على وجه المجاز فمن هذا النص المقدم من ابن جني في كتابه الخصائص وجدناه تابع المعتزلة في مذهبهم القائل: «بان لو كان الله هو الخالق لفعلهم؛ لوجب ان لا يستحقوا الذم على قبيحة، والمدح على حسنه؛ لان استحقاق الذم والمدح على فعل الغير لا يصح وبهذا لم يستحقوا ثوبا ولا عقابا، ولا مدحا ولا ذما.»<sup>(٤)</sup>

فخلاصة معتقدهم في خلق الافعال الاختيارية بان العبد هو خالق لأفعاله، وان الله عزوجل اقدره، وهو حر في تصرفاته وارادته. وان قدرة الله عزوجل لا تتعلق بأفعال العباد.<sup>(٥)</sup>

• اما مذهب الجبرية في هذه المسألة:

وهم اتباع الجهم بن صفوان<sup>(٦)</sup> وهم يعتقدون؛ بان العبد مسلوب الاستطاعة كلها، وانه مجبر ومضطر الى الاعمال، وانه لا فعل، ولا عمل لاحد غير (٤) المغني في ابواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار: ١٩٣/٨، وينظر: نهاية الاقدام، للشهرستاني: ١٠٩، وتمهيد الاوائل، للباقلاني: ٣٤٦

(٥) وابن جني والبغداديون من المعتزلة؛ من الذين ضيقوا قدرة الله عزوجل عن مقدرات العباد وقال: فهو لم يخلق أفعالنا، ولو كان خالقا حقيقية لا محالة لكان خالق الكفر والعدوان وغيرهما من أفعالنا: الخصائص، لابن جني: ٤٥٦/٢، وينظر: مقالات الاسلاميين، للشاعري: ٥٥٠

(٦) جهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي، رأس الجهمية.. وكان الجهم ينكر صفات الرب عز وجل وينزهه بزعمه عن الصفات كلها ويقول بخلق القرآن هلك في زمان صغار التابعين ١٣٠ هـ ينظر: تاريخ الاسلام، للذهبي: ٣٨٩/٣، وميزان الاعتدال، للذهبي: ٤٢٦/١

، وعودهم حادثة من جهتهم؛ وان الله اقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها، ولا محدث سواهم، وان من قال ان الله سبحانه خالقها ومحدثها؛ فقد عظم خطؤه واحالوا حدوث فعل من فاعلين.<sup>(١)</sup> وهذا قول واصل بن عطاء وتبعه اغلب رجالات المعتزلة في ذلك.<sup>(٢)</sup> علما ان ابن جني قد تبعهم بهذه المسألة بان خلق الله تعالى - مجازا لا حقيقة

؛ وقد ادخل تحقيقه في هذه المسألة عند قاعدته التي اسس قاعدتها في المجاز التي ذكرناها سابقا بان اللفظ يعدل عن الحقيقة اذا توفرت المعاني الثلاث (الاتساع والتأكيد والتشبيه) فقد عرض الآية

القرآنية الكريمة ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ

الْقَهْرُ﴾ [الرَّغْدُ الآية ١٦] عللها بانها من معاني التأكيد

؛ وكل ما دخل تحت هذه المعاني فهو مجاز لا

حقيقة فقال افعال الله عزوجل مجازية لا على

الحقيقة بدليل قوله: "ومن التوكيد في المجاز

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرُّمُّ الآية ٦٢]

وهو سبحانه شيء، وهو ما يستثنيه العقل ببديته

ولا يحوج إلى التشاغل باستثنائه، فإن الشيء كائنا

ما كان لا يخلق نفسه.<sup>(٣)</sup> فهو إذا عنده لا خالق

(١) المغني في ابواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد

الجبار: ٣/٨، وينظر: في علم الكلام، د صبحي: ١٩٦/١

(٢) امثال ابي الهذيل العلاف، والنظام والخياط، و ابا

علي، وابن جني وغيرهم من رجالات المعتزلة ينظر: الملل

والنحل، للشهرستاني: ١ / ٤٤ وما بعدها، والخصائص،

لابن جني ٤٤٧/٢

(٣) الخصائص، لابن جني: ٤٥٦/٢

الله عزوجل ؛ وانما تنسب الافعال الى المخلوقين بصيغة المجاز، وهم غير فاعلين ولا مستطيعين لها، وان الحركات اجسام ايضا وانه لا فاعل الا الله عزوجل. وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى محصله. (١)

أما مذهب الاشاعرة من اهل السنة والجماعة: اهتم اهل العلم رحمهم الله- في هذه المسألة اهتماما كبيرا، ومحصوا اقوال اهل القبلة جميعهم بكافة معتقداتهم ، فكان محصول قولهم وتناجيه: أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله عزوجل، ومفعول لله عزوجل، ليس هو نفس فعل الله عزوجل. ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق. وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد - أثبت للعباد فعلا وكسبا، وأضاف الخلق لله عزوجل. وسميت بنظرية الكسب ؛ التي جاءت امتدادا وتوسطا للرأي المعتزلة ، ومن رأي الجهمية، فان أفعال العباد كلها مخلوقة لله عزوجل وهي كسب للعباد. وعلى ذلك يترتب الثواب والعقاب. (٢) وقد بين فضل هذه النظرية صاحب الفرق بين الفرق؛ بعد ان شنع على مذهب الجبرية والقدرية بدليل قوله: «ومن قال أن العبد مكتسب لعمله والله

سبحانه خالق لكسبه فهو سني عدلي منزه عن الجبر والقدر». (٣) ويؤصل الامام الغزالي رحمه الله المسألة بعد ان ذكر قوله عزوجل ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرَّغَدُ الآية ١٦] بقوله: (العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له عزوجل .... وعرض النص القران الكريم - ليترسل بيان هذه النظرية وبيان عوار مخالفيهم قال عزوجل ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الأنعام الآية ١٣] مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك من الآية ١٣ الى الآية ١٤] وهو بان أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الأبواب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب ... ثم يبين

أما مذهب الاشاعرة من اهل السنة والجماعة: اهتم اهل العلم رحمهم الله- في هذه المسألة اهتماما كبيرا، ومحصوا اقوال اهل القبلة جميعهم بكافة معتقداتهم ، فكان محصول قولهم وتناجيه: أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله عزوجل، ومفعول لله عزوجل، ليس هو نفس فعل الله عزوجل. ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق. وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد - أثبت للعباد فعلا وكسبا، وأضاف الخلق لله عزوجل. وسميت بنظرية الكسب ؛ التي جاءت امتدادا وتوسطا للرأي المعتزلة ، ومن رأي الجهمية، فان أفعال العباد كلها مخلوقة لله عزوجل وهي كسب للعباد. وعلى ذلك يترتب الثواب والعقاب. (٢) وقد بين فضل هذه النظرية صاحب الفرق بين الفرق؛ بعد ان شنع على مذهب الجبرية والقدرية بدليل قوله: «ومن قال أن العبد مكتسب لعمله والله

(١) ينظر: مقالات الاسلاميين، للاشعري: ٥٨٩، والفرق بين الفرق، للبخاري: ١٩٨-١٩٩، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن ابي العز: ٦٣٩/٢.

(٢) ينظر: اللمع، للاشعري: ٣٦/١-٤٠، وتمهيد الاوائل، للباقلاني: ٣٤٨.

(١) ينظر: مقالات الاسلاميين، للاشعري: ٥٨٩، والفرق بين الفرق، للبخاري: ١٩٨-١٩٩، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن ابي العز: ٦٣٩/٢.

(٢) ينظر: اللمع، للاشعري: ٣٦/١-٤٠، وتمهيد الاوائل، للباقلاني: ٣٤٨.

الامام الغزالي رحمه الله - بان النتيجة راجعة كلها الى وحدانية الله عزوجل وهي الاصل المرتكز في ذلك ... بأن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس بكسب له وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة باعتبارها تلك النسبة كسبا.<sup>(١)</sup>

وتحرير القول وخلاصته : بان العبد مكتسب لعمله والله سبحانه خالق لكسبه ؛ على ما استبان من النص القراني الكريم - واقوال اهل العلم رحمهم الله .

اما تحرير قول ابن جني والمعتزلة فانه استبان من خلال اختلافهم على اسم الخالق على فرقتين اولهما: « فرغت فرقة منهم أن معنى القول في الله أنه خالق أنه فعل الأشياء مقدره وأن الإنسان إذا فعل أفعالا مقدره فهو خالق<sup>(٢)</sup> وثانيهما: وزعمت الفرقة الثانية منهم أن معنى القول في الله - سبحانه - أنه خالق أنه فعل لا بألة ولا بقوة مخترعة فمن فعل لا بألة ولا بقوة مخترعة فهو خالق لفعله ومن فعل

(١) قواعد القواعد، للغزالي: ١٩٣-١٩٦ .

(٢) وهذا قول الجبائي وأصحابه. ينظر: مقالات الاسلاميين،

للاشعري: ١٥٦/١ .

بقوة مخترعة فليس بخالق لفعله».<sup>(٣)</sup>

واما ابن جني فقد صرح بمعتقده في خلق الافعال فان أفعال القديم سبحانه نحو: خلق السماوات والأرض، وما كان مثله، ألا ترى أنه عز اسمه لم يكن بذلك خلق أفعالنا، ولو كان خالقا حقيقية لا محالة لكان خالق الكفر والعدوان وغيرهما من أفعالنا؛ فهم يجعلون العدل الذي هو من اهم الاصول عندهم وهو مبدأهم الاساسي ؛ لانهم يربطون بينه وبين الافعال الانسانية ؛ فلا بد للإنسان ان يكون حر لأفعاله والحر لا بد ان يكون خالقا لأفعاله ؛ حتى يستقيم التكليف ويكون الثواب والعقاب عدلا؛ فلهذا قال ابن جني بان الخلق لله عزوجل - مجازا وللعبد حقيقة ؛ لكونه هو خالق لافعاله ؛ لان الله عزوجل منزه عن افعال الكفر والعدوان والضلال فلا تنتج منه ولا يكون خالقا لها ، واذا نسبت له فهي نسبة مجاز لا حقيقة.<sup>(٤)</sup> فان معتقد ابن جني بهذا القول غير مسدد من وجوه عديدة ، ولنقد هذه القول ونظريته في المجاز ما يلي:

١ - ان نظريته في الحقيقة والمجاز بان الحقيقة تتعدى الى المجاز في (الاتساع، والتأكيد، والتشبية) قاعدة تفيد في مجالات الحادث بجواهره واعراضه واجناسه ونوعه ، وهي التي انفرد بها ابن جني عن غيره، وهي لا تقاس على المحدث الذي اتقن كل شئ فهو قياس باطل بل ان افعال الله تعالى حقيقية

(٣) مقالات الاسلاميين، للاشعري: ١٥٦/١ .

(٤) ينظر: الخصائص، لابن جني: ٤٤٧/٢ .

٤- فان الآية التي استشهاد بها ابن جني هي عليهم لا لهم؛ فان من اصولهم التوحيد والآية ختمت بالوحدانية وان الباري عزوجل متفرد بالخلق والامر والايجاد، ودلت على ذم من تكون هذه صفته في قابل الايام فان العباد خالقون لا كسابهم وان العباد يخلقون مثل خلق الله من الاعراض التي هي الحركات والسكون في العلوم والارادات والاقوال والاصوات وقد قال الله عزوجل في ذم اصحاب هذا القول والتي اثبت لنفسه عزوجل صفة العلم بأحوال مثل هؤلاء قال عزوجل ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد الآية ١٦] فانه علم بأحوالهم قبل ان يخلقوا؛ فأى توحيد يعنون<sup>(٣)</sup>.

٥- ودعوا ابن جني وغيره غير مسدد؛ فهل يجوز ان يعقل أن يعلم الله عزوجل عباده شيئاً لا يعلمه، ولا يقدرهم على شيء إلا وهو عليه قادر؛ فإذا قدرهم على الكفر فهو قادر أن يخلق الكفر لهم وإذا قدر على خلق الكفر لهم فلم أبيتهم أن يخلق كفرهم فاسدا متناقضا باطلا<sup>(٤)</sup>. وهو ربك عزوجل ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج من الآية ١٥ الى الآية ١٦].

٦- ومن العجب ان يخفى على ابن جني وهو عارف بعلوم الاله وحاذق بها ان تخفى عليه ان

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي: ٣٤٨

(٤) ينظر: الابانة، للاشعري: ١٨١

ولا تشبه افعال المخلوقين تنزه الله عزوجل عن ذلك فهو تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى الآية ١١].

٢- كلام ابن جني (في الخلق بالنسبة للخالق)؛ بانها مجازات لا حقيقة لها مردود؛ ونلزمه بالرد من جنس ما اتى به فان اهل العلم من البلاغيين والاصوليين المعبرين؛ المجمعون على ان تعريف المجاز، وشروطه المجمع عليها هي التي يؤخذ بها وهي المعتمدة فالمجاز: فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول. وشروطه التي تنقله من الحقيقة الى المجاز هو (القرينة، ووجود العلاقة بين الاول والثاني)<sup>(١)</sup> اي اللفظ الحقيقي واللفظ المجازي مع مراعاة الوضع الموضوع له؛ والامة تأخذ بالأجماع لا بالرأي المنفرد.

٣- ولا ادل على قولهم الباطل قوله عزوجل ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٣﴾﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك من الآية ١٣ الى الآية ١٤] وهي تدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متمثلة وتعلق القدرة بها لذاتها.<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر: اسرار البلاغة، للجرجاني: ٢٤٨، ومفتاح العلوم، للسكاكي: ٣٥٩، والاحكام للامدي: ٤٦/١، وعلم البيان، عتيق: ١٣٨

(٢) ينظر: قواعد القواعد، للغزالي: ١٩٤

## الخاتمة

نسأل الله حسنهما في كل شيء الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد؛ فقد استعرضنا فيما سبق والهدف من هذا كله أن يكون لدى طالب العلم والدارسين لمثل هكذا مصنفات مهمة دراية كاملة فيما تنتجه افكارهم العقدية التي تخللت في مصنفاتهم خاصة اذا كان النص يحتاج الى تبسيط وتوضيح وفك عبارة ، وإن كانت متعبة عن غيرها من الدراسات إلا أنها تحصن الذهن من الفوضي الفكرية وتساعد في خلق فكر متزن لا يعرف الشطط أو التكلف في الفهم. وعند القراءة المتواضعة لهذه الدراسة، تبينت لي نتائج احييت ان اذكرها ؛ لكي تكتمل الفائدة ان شاء الله.

١- ان بن جني (ت ٣٩٢هـ) هو احد العلماء الرائدین في اللغة العربية؛ الذي ترك تراثا مهما في هذا الجانب مما أثرت مؤلفاته المكتبة العربية الاسلامية.

٢- تأثير الراي الاعتقادي باهل العلم وخاصة علماء اللغة ، فكان من اهمهم بهذا التأثير هو ابن جني الذي تاثر بمذهب الاعتزال ، ويعتبر من اهم رجالتها؛ لأنه عندهم فاحصا مدققا موثوقا بعلمه وفطنته لدى الكثير من اهل العلم والعامه.

٣- اثبت البحث ما ذهب اليه ابن جني في مسألة

«الأفعال الاختيارية التي للعباد بل لسائر الأحياء مع الاتفاق على أنها أفعالهم لا أفعاله إذ القائم والقاعد والاكل والشارب وغير ذلك هو الإنسان مثلا وإن كان الفعل مخلوقا لله تعالى فإن الفعل إنما يستند حقيقة إلى من قام به لا إلى من أوجده ألا يرى أن الأبيض مثلا هو الجسم وإن كان البياض بخلق الله وإيجاده ولا عجب في خفاء هذا المعنى .»<sup>(١)</sup> على اهل الصنعة امثال ابن جني سامحه الله.

٧- ان العباد بالجملة ليس لديهم مميزات الخلق ولا حتى اسبابها ؛ لانها كلها بامر الله عزوجل فلا يخرج حادث من الأعيان والأفعال عن قدرته وخلقها كما لا يخرج عن علمه ومشيتته، هذا دين جميع المرسلين عليه السلام.<sup>(٢)</sup>



(١) شرح المقاصد، للتفتازاني: ١٢٥/٢

(٢) ينظر: مختصر الصواعق المرسله لابن القيم، اختصره



- ضبط (كلام الله) ام (قول الله) فبرز تحقيقنا ما  
يأتي:
- أ- ان بينها عموم وخصوص فكل كلام قول وليس  
كل قول كلام فإدخال الخاص تحت العام اولى.
- ب- عند استعراض الآيات القرآنية واقوال  
اهل العلم تبين ان (قال ربك ، قال ربكم،  
قال الله) تفيد التخصيص والاستقلال في اغلب  
المواضع وهذا ما اثبتته البحث في موضعه لهذه  
المسألة.
- ج- إجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا  
يقال القرآن قول الله وذلك أن هذا موضع ضيق،  
فأثبت الكلام الذي لا يكون إلا أصواتاً تامّة مفيدة  
وعدل به عن القول الذي قد يكون أصواتاً غير  
مفيدة وآراء معتقدة
- د- ان لفظة الكلام اعلى رتبة من القول ؛ لا نه اتم  
الفائدة وتأتي معناها بجميع مصادرها على الشدة  
والقوة.
- ٤- افاد البحث ان علل المتكلمين المتقنين اقرب  
الى علل النحويين ؛ لانهم يحيلون على الحس  
ويحتجون فيه بثقل الحال او خفتها على النفس.
- ٥- انفرد ابن جني في وضع قاعدة للحقيقة والمجاز  
هي (الاتساع، والتأكيد والتشبيه) التي من خلالها  
اثبت ما يأتي:
- أ- ان اللغة العربية اغلبها مجازا واغلب مواطن  
القران الكريم مجازا لا حقيقة.
- ب- ان افعال الله عزوجل مجازية لا على الحقيقة
- وبينا كلامه حسب موضعه
- ٦- عرض مسألة الكسب عند اهل العلم ، واثبت  
خطأها ؛ بان الفعل منه شيء أُعيرهُ وأُعطيهُ وأُقدر  
عليه؛ وان فعل الله عزوجل وفعل العبد كليها مجازا  
لا حقيقة.
- ٧- اثبت البحث أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه  
مخلوق لله عزوجل، ومفعول لله عزوجل، ليس هو  
نفس فعل الله عزوجل. ففرق بين الفعل والمفعول،  
والخلق والمخلوق. وأفعال العباد خلق الله وكسب  
من العباد.
- واخيرا ... اسأل الله تعالى- ان يتقبل مني هذا  
العمل ، فان اصبت فالله تعالى- اشكره على ما  
وفقني اليه. وان اخطأت فمني ومن الشيطان ،  
والله عزوجلورسوله ﷺ براء منه سبحانهك اللهم  
وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب  
إليك. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه  
وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الزركلي (ت: ١٣٩٦)، دار العلم للملايين، ط ١٥،  
٢٠٠٢ م.

٨- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو  
الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)  
تحقيق: محمد إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة،  
ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ  
- ١٩٨٢ م.

٩- الانتصار، ابي الحسين عبد الرحيم بن محمد  
عثمان الخياط، تحقيق: يتبرج، دار مكتبة بيليون،  
ط ١، ٢٠٠٤ م.

١٠- البرهان، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف  
الجويني أبو المعالي (ت ٤٧٨هـ) تحقيق د. عبد  
العظيم محمود الديب، مصر، القاهرة دارالوفاء،  
١٤١٨ هـ

١١- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب  
البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: د بشار معروف  
، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ-  
٢٠٠٢ م.

١٢- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، علي بن  
أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان  
عباس، دار مكتبة الحياة - بيروت، ط ١، ١٩٠٠ م

١٣- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن  
الطيب بن محمد، القاضي أبو بكر الباقلاني (ت  
٤٠٣هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد، الكتب الثقافية  
- لبنان، ط ١، ١٤٠٧ هـ

١٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الإبانة عن أصول الديانة، علي بن إسماعيل بن  
أبي بشر الأشعري أبو الحسن، تحقيق: د. فوقية  
حسين محمود، القاهرة، دار الانصار، ط ١، ١٣٩٧ هـ،  
٢- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن  
أبي علي الأمدي (ت ٦٣١هـ) تحقيق: عبد الرزاق  
عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق-

٣- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين  
أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي  
(ت ٦٢٦هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب  
الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٤- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد،  
امام الحرمين الجويني (٤٧٨)، تحقيق: محمد  
موسى وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي مصر  
١٣٦٩ هـ.

٥- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد  
الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق:  
عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،  
ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٦- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن  
عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله (ت ٦٠٦هـ)،  
تحقيق علي سامي النشار، الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ

٧- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد

«مواقف كلامية مع ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه الخصائص (دراسة نقدية)»

أ. م. د. محمد سلمان داود || ٨٨٥

- رسول الله ﷺ: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ١٥- الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٢٩٣هـ) تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب- لبنان.
- ١٦- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) تحقيق: محمود الأرناؤوط، مكتبة ارسىكا، استانبول ٢٠١٠ م
- ١٧- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
- ١٨- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن احمد، تحقيق: د عبد الكريم عثمان: مكتبة وهبة ١٤٠٥ هـ، القاهرة، ط ٣، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.
- ١٩- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ ابن أبي العز الحنفي، (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار السلام للطباعة، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
- ٢٠- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر عبد الله التفتازاني، (ت ٧٩١هـ)، تحقيق، دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١ هـ
- ٢١- شرح ديوان المتنبي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، موقع الوراق.
- ٢٢- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب: ابن الملقن عمر بن علي بن أحمد الشافعي (ت ٨٠٤ هـ)، تحقيق: أيمن الأزهرى، وسيد مهني: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
- ٢٣- علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د محمد قاسم، د محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، ط ١، ٢٠٠٣ م
- ٢٤- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ): دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ
- ٢٥- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفراييني، (ت ٤٢٩هـ) الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧ م
- ٢٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت ٤٥٦هـ): مكتبة الخانجي - القاهرة
- ٢٧- فوات الوفيات: محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس: دار صادر- بيروت
- ٢٨- قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب - لبنان، ط ٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

- ٩٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ
- ٣٠- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت.
- ١٣- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط ٢١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- ٣٢- مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق ابن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣ هـ) تحقيق: محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ط ١، ١٤١٦ هـ.
- ٣٣- المحيط بالتكليف، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي (ت ٤١٥هـ)، مخطوط القسم التاسع والعشرون، لوحة (٦٠)، دار الكتب المصرية، مصر العربية- القاهرة عن خلال رسالة علمية.
- ٣٤- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم البعلي ابن الموصلي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم: دار الحديث، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٢ هـ
- ٣٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج
- أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت.
- ٣٦- المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين، تحقيق: خليل الميس، الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٣ م
- ٣٧- معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ١٩٦١ م
- ٣٨- المغني في ابواب التوحيد والعدل، ابو الحسن عبد الجبار بن احمد الاسد آبادي (ت ٤١٥هـ) تحقيق: د خضر نبها، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت
- ٣٩- مفتاح العلوم، يوسف بن محمد السكاكي، (ت ٦٢٦ هـ) دار الكتب العلميّة، ط ١، لبنان - بيروت .
- ٤٠- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٤١- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ): مؤسسة الحلبي.
- ٤٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١،

«مواقف كلامية مع ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه الخصائص (دراسة نقدية)»

أ. م. د. محمد سلمان داود || ٨٨٧

١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٤٣- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد أبو البركات الأنباري ٥٧٧هـ، تحقيق: إبراهيم السامرائي المنار، الأردن، ط ٣، ١٤٠٥هـ -

١٩٨٥م.

٤٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس: دار صادر بيروت

٤٥- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) تحقيق د. مفيد محمد قمحية

، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



